دور الجمهورية الإسلامية في التمهيد لنشر العدالة والقيم الإنسانية، وبناء الحضارة الإسلامية الحديثة

■ ناجي أمهز-باحث استراتيجي من لبنان

طالما بحثنا في التاريخ عن العدالة الإنسانية، لمقارنتها بما وصلنا اليه اليوم، بظل حالة القلق والاستبداد التي تعيشها المجتمعات المعاصرة، جرا نظم عالمية ارادت ان تجسد نفسها بديلا للديانات السماوية، او الإيحاء ان هذه النظم هي خلاصة كافة التجارب الإنسانية السابقة، فكانت الشيوعية التي طالما نادت بالاشتراكية وتخلت عن الاشتراكية الداخلية بين الروح والمادة، مما افقدها وهج الروحية السماوية، وحول الانسان الى ما يشبه الالة يعيش الانفصام بداخله بين الانا الكبرى والمفاهيم الدينية المتواجدة بغياهب العقل الموروث بالفطرة، وبعد

محاولات عدة سقطت الشيوعية بصورة دراماتيكية واسقطت معها اقتصاد وسياسة وامبراطورية كانت مترامية الأطراف ظن قادتها ان اكبر من ان تسقط، مع العلم ان الامام الخميني رضوان الله عليه كان اول من حذر هذه الامة بانها لن تستطيع ان تستمر مهما تعاظمت قوتها العسكرية ونفوذها بالعالم. وقد جاء برسالة الامام الخميني العظيم الى غورباتشوف الزعيم السابق لدولة الأتحاد السوفيتي. في ٧ يناير ١٩٨٩

«إنكم إذا أردتم أن تحصروا جهودكم لحل العقد المستعصية في الاقتصاد الاشتراكي والشيوعية في هذه المرحلة باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فاعلموا أن نتيجة ذلك لن تنحصر في العجز عن معالجة شيء من آلام شعبكم، بل ستتجاوز ذلك إلى إيجاد حالة تستلزم مجيء من يعالج آثار أخطائكم، لأن العالم الغربي مبتل أيضاً بنفس ما ابتليت به الماركسية اليوم من وصول مناهج تعاملها مع القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلى طريق مسدود، بل وهو مصاب بمشاكل أخرى أيضا، والفرق هو في الصور والظواهر.»

هذه الرسالة الخالدة، لم تكن تحمل في طياتها التحذير من انهيار الاتحاد السوفياتي فقط، بل كانت مؤشرا واضحا على سياسة الجمهورية الإسلامية في ايران، ومن يطالع هذه الرسالة بعمق يدرك ان ايران كانت تعمل وبهدوء واطمئنان رغم الحرب العالمية عليها منذ انتصار الثورة المباركة عام ١٩٧٩، فكانت تدرس النظام القائم بالعالم والمنقسم بين الاشتراكية والرأسمالية، وتستخلص منه الاستنتاجات والعبر، وتضع استراتيجية قادرة ان تتواجد بين قطبي العالم، مع علمها المسبق بان احد الأقطاب سينهار مما يعني توسع نفوذ القطب الرأسمالي الذي هو اشد خطورة وتوحشا، بل هو الخطر المباشر على الجمهورية الإسلامية التي أعلنت منذ لحظة ولادتها ان إسرائيل غدة سرطانية لا بد ان تزول، وامام هذه الولادة الجديدة لامة جديدة في القرن العشرين كان العالم يراهن على سقوط الثورة وتأكلها او تراجعها، كما حصل مع العديد من الثورات في العالم.

كان الغرب ينظر الى الثورة الإسلامية ويقارنها بالحركات الإسلامية التي ظهرت في العالم العربي، ظنا منه ان الثورة التي اتخذت من الدين الإسلامي دستورا لها لن تستطيع ان تتكيف او تتقدم، بظل نظام العولمة والديمقراطية التي كان يسوقها الغرب ويداعب بها مشاعر العالم الثالث، ,اذا بالجمهورية الإسلامية تكرس مفهوم الديمقراطية والشفافية بأبهى الصور والالتزام الكامل بالمواعيد الدستورية، وان كانت الدول بغالبيتها كل ست سنوات تنتخب رئيسا للبلاد كرست الجمهورية الإسلامية في نظامها ان تكون مدة الرئاسة اربع سنوات مما خلق تفاعلا شعبيا كبيرا مهد لاستقرار الثورة داخليا، وشجع الانتقال السلمي الى السلطة، عبر صناديق الاقتراع مما أوقع العالم الغربي بحيرة من امره، وهو ينظر الى حلفائه بالمشرق العربي كيف يمارسون الديكتاتورية بأبشع صورها، وامام هذا النمط من التعاطي بالحكم بحث الغرب عن أساليب

ان كانت الدول بغالبيتها كل ست سنوات تنتخب رئيسا للبلاد كرست الجمهورية الإسلامية في نظامها ان تكون مدة الرئاسة اربع سنوات مما خلق تفاعلا شعبيا كبيرا مهد لاستقرار الثورة داخليا، وشجع الانتقال السلمي الى السلطة، عبر صناديق الاقتراع مما أوقع العالم الغربي بحيرة من امره، وهو ينظر الى حلفائه بالمشرق العربي كيف يمارسون الديكتاتورية بأبشع صورها

أخرى لضرب الثورة الإسلامية وتقليب الراي العالمي عليها، من خلال الإيحاء باضطهاد الأقليات في ايران، اذا بالجمهورية الإسلامية تنطلق نحو العالم بحوار الحضارات، وتمد يدها الى جميع مواطنيها دون تفرقة، حيث ارست نظاما برلمانيا يحفظ حقوق الجميع ويساوي بينهم بالمواطنة الحقوق والواجبات، وتمدد حوار الحضارات بنوره على مساحة الشرق، حيث اصبح عاملا أساسيا بمعالجة كافة الخلافات من أسبوع الوحدة الإسلامية، حتى الالتقاء مع باقي الديانات في الداخل الإيراني وخارج الجمهورية الإسلامية.

وهذا الأسلوب الذي اعتمدته الثورة الإسلامية في نظام الجمهورية، لم يحفظ فقط ايران بل أيضا حفظ الهوية الإسلامية العالمية، حيث بدا العالم ينظر الى الدين الإسلامي بصورة مختلفة عن النظرة السابقة التي طالما حاول أعداء الإسلام بالداخل والخارج ترسيخها بالعقل، بان الإسلام نظام ديكتاتوري قمعي لا يعترف بالأخرين وهو ينتقص من حق المرأة كما يحصل في غالبية الدول التي أعلنت انها تطبق الشريعة الإسلامية ان كان في باكستان وأفغانستان وبعض الدول العربية وغيرهم، اذا بالدستور الايراني يمهد ويعبد الطريق للمراة الإيرانية كي تنجح بمجال العمل والرياضة والفنون وان تكون شريكة أساسية بالعمل الاجتماعي والسياسي.

وأيضا لم يستطيع العالم المعادي للثورة الإسلامية تقبل نجاح دستور الجمهورية الإسلامية في البعد الإنساني انطلاقا من قيم الدين الإسلامي، مما حرك وحش الرأسمالية ضد الجمهورية ظنا منه ان الجمهورية ان نجحت في الجانب السلوكي الروحي، حتما ستفشل بالجانب الصناعي المادي، وستكون عاجزة عن الاستمرار بظل التقدم التكنولوجي والنظام المالي العالمي، اذ بالعالم يتفاجأ بتطور الجمهورية الإسلامية في مختلف المجالات الصناعية والتقنية، حيث اطلقت الجمهورية الإسلامية اول قمر صناعي بجهود ذاتية عام ٢٠٠٩، بالإضافة نها امتلكت القدرة على انتاج الطاقة النووية، وتقنية النانو، مع

نجاح باهر بالمجال الطبي وصناعة الدواء، مع تكامل شبه كامل من الاكتفاء الذاتي على المستوى الصناعي والانتاجي الغذائي.

ولم ينتهي نجاح الجمهورية الإسلامية في إيران عند حدودها الجغرافية، بل هناك الملايين حول العالم من الذين اعتنقوا فكر الثورة الإسلامية في بعدها الإنساني والتحرري، وهذا الامر ليس بجديد على الشعب الإيراني العظيم الذي كان على مر التاريخ قبلة المجتمعات الإنسانية، فالشعب الإيراني تميز بالكثير من المواصفات الإنسانية العالية ان كان بالعطاء والنبل والشجاعة والكرم، ومما يذكره التاريخ المعاصر انه ابان اعتداءات روسية القيصرية في القرن الثامن عشر على إيران، كان الشعب القوقازي الخاضع لحكم روسيا القيصرية يهب للدفاع عن الشعب الإيراني، ومرات عديدة كانت شعوب القوقازية تعلن غايتها بالانضمام تحت حكم الشعب الإيراني الذي اشتهر بعدالته وانسانيته.

الجمهورية الإسلامية في إيران العظيمة، لم تبهر العالم فقط بثقافتها وقوانينها وديمقراطيتها الشبه وحيدة بالشرق، ولا حتى بالمجال الصناعي الغذائي والطبي، بل أيضا قدمت للعالم نموذجا جديدا في الصناعات العسكرية الدفاعية والهجومية، ومفاهيم مختلفة عما عهده العالم بالتكتيكات والحروب، فقد استطاعت الجمهورية الإسلامية بظل قيادتها الحكيمة وعمق خطابها الإسلامي ببعده الوطني والاستراتيجي، ان تنشء جيوشا لا تقهر ولا تهزم من خلال ترسيخ مفاهيم العقيدة الإسلامية وحتى التحررية، التي احييت بالإنسان القوة الايمانية الحقيقية التي هي اقوى من المتغير المناخي واصلب من المعادن، حيث تحول المقاتل او المقاوم او الثائر الذي يعتنق فكر الثورة الإسلامية في ايران الى قوة لا تقهر، فقد انتصرت مفاهيم الثورة الإسلامية في لبنان حيث نجح حزب الله بهزيمة جيش العدو الإسرائيلي مرات ومرات مما أدى الى خروجه ذليلا من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ وهزيمته عام ٢٠٠٦ امام حزب الله. وأيضا نجحت المقاومة بفلسطين، بهزيمة العدو الإسرائيلي عدة مرات واخرها عام ٢٠٢١ مما أدى برئيس حكومة العدو نتنياهو الى الخروج من الحكم نهائيا، وقد اعترفت المقاومة الفلسطينية بان دعمها المادي واللوجستي والمعنوي والتدريبات هي إيرانية. ولا احد ينكر ان صمود الشعب اليمني بوجه اعتداء قوات التحالف على اليمن هو بفضل الجمهورية الإسلامية، بل ان الانتصارات والهزائم التي يلحقها الشعب اليمني بقوات التحالف، وما فعلته المقاومة في لبنان وفلسطين بجيش العدو الاسرائيلي فرض على كل الدول ان تعيد حساباتها الاستراتيجية ومخططاتها العسكرية.

وأيضا نجحت الجمهورية الإسلامية بحماية اكثر من بلد عربي عندما واجهت الإرهاب التكفيري وهزمته، والكثير من شعوب المنطقة وخاصة الأقليات تحدثوا عن تضحيات الجمهورية الإسلامية في ايران في مواجهة الإرهاب.

الحقيقة لا احد يستطيع ان يختصر إنجازات الثورة الإسلامية على المستوى الإقليمي والعالمي، وخاصة عندما وقفت الجمهورية الإسلامية بوجه الغطرسة الامريكية، وكسرت الحصار على فنزويلا وهي المحاصرة، وقصفت قاعدة عين الأسد الامريكية في العراق، ردا على اغتيال الجنرال الشهيد قاسم سليماني. والجميع اصبح يعترف بان الثورة ولدت لتبقى وتستمر وهي فتية في عز قوة شبابها، وانها اقوى من الموت، واقسى من ان تكسر، وان قالت فعلت. والقدس قاب قوسين او أدنى وسيتحرر ان شاء الله.

ودور الجمهورية الإسلامية في التمهيد لنشر العدالة والقيم الإنسانية، وبناء الحضارة الإسلامية الحديثة هو بدا وغدا يعم المنطقة، لان الانسان يستحق ان تنتصر الثورة له وان ينتصر لها.